

العلامة بولس بيداري

كـ جميل دياربكرلي _ سوريا

أنجبت الأمة الكلدوآشورية وخلال ماضيها العريق والطويل العديد ممن طبعوا بصمة في مسيرة شعبنا فمنهم الأديب والكاتب أمثال الملفان نعيم فائق (١٩٣٠)، ومنهم الصحفي أمثال الشهيد أشور يوسف (١٩١٥)، وفريد نزهة (١٩٧٠)، ومنهم القائد والعسكري أمثال آغا بطرس (١٩٣٢)، ومنهم رجال دين أمثال البطريرك الشهيد مار شمعون بنيامين (١٩١٨+)، والخورأسقف بولس بيداري (١٩٧٤)، الذي نحن بصدد الكتابة عنه.

فصاحب الترجمة من الشخصيات التي لم تسلط عليها الأضواء لأسباب عدة يضيق بنا الوقت لذكرها، ولكن أهمها كثرة تنقلاته، وضياح الكثير من مؤلفاته بهذه التنقلات، وتواجده في أيامه الأخيرة في جبال شمال العراق، وما في تلك المنطقة من مشاكل جمّة في ذلك الوقت.

فقد أبصر النور سنة ١٨٨٧ في بيدارا (ܡܝܕܪܐ) وهي قرية صغيرة قريبة من زاخو على بعد ٢ كم، ومعنى اسمها بالسريانية ساحة القتال، وتنسب هذه التسمية إلى قصة مار قرداغ الأربيلي الآثوري، أحد قواد الفرس الذي التقى بجيش الروم في هذا المنطقة، وانتصر عليهم، ومن هنا جاء اسمها. بدأ مشواره مع العلم في مسقط رأسه حيث تعلم مبادئ السريانية والعربية، إختاره خوري الرعية ليكون واحداً من المنضوين تحت لواء معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل، لما لمس ببولس من محبة للعلم منذ نعومة أظفاره، وهذا المعهد الذي تأسس في القرن التاسع عشر على يد الآباء الدومنيكان، وقد خرّج الكثير من

الطلاب الذين تركوا بصمات واضحة في كافة المجالات، فأمضى فيه عقداً ونيف من حياته ينهل من العلوم المختلفة واللغات المتنوعة.

رسم كاهناً سنة ١٩١٢ بيد المطران **طيمثاوس مقدسي** ليخدم في قريته بيدار، من ثم في أماكن عديدة منها بيروت والحسكة والقامشلي حيث خدم رعيته الكلدانية سبع سنوات بغيرة منقطعة النظير، فتولى إدارة مدرستها **مدرسة الكفاح** هذه المدرسة التي أشتهرت بمستواها التعليمي المميز، وخصوصاً فترة إدارته لها، فإهتم بشكل خاص بتعليم التلامذة اللغة السريانية المقدسة، والألحان البيعية، والطقوس الكنسية، وكما كان يبيت من روحه وفكره القومي الوحدوي النير بين التلاميذ، فنرى الدفعات التي تخرجت على يديه مليئة بالحس القومي ومحبة اللغة والتراث.

أستدعاه المثلث الرحمات البطريرك بولس شيخو إلى العراق سنة ١٩٦٠، حيث بدأ الأب بيداري هناك مرحلة جديدة من نشاطه القومي والفكري، فنراه عضواً في المجلس الأعلى لقيادة الثورة الكردية بقيادة الملا مصطفى البرزاني، يناضل ويقاوم في جبال شمال العراق، هذا المكان الذي ولد وتربى فيه، وأحبه حتى آخر أيام حياته، وقد وصل حبه إلى حدّ المطالبة بإقامة وطن قومي لأبناء شعبه أصحاب هذه الأرض الأصليين، وهذا كان السبب الرئيس لإنضمامه إلى الثورة الكردية في الشمال. مصادرنا قليلة عن حياة هذا العلامة في فترة بقائه في جبال شمال العراق، ولكن يذكر كتاب سياسة وأقليات في الشرق الأدنى لواقعيه **آني و لورانت شابري** عنه فيقولان في سياق حديثهما عن الطائفة الكلدانية: "أظهر الكلدانيون على وجه العموم أنهم أبعد عن الخيار الانفصالي أو الاستقلال الذاتي من النساطرة. ليس فقط في العراق لكن كذلك في إيران باستثناء مشهور هو موقف المونسنيور بول بيداري نائب أسقف كلداني كاثوليكي الذي كان عضواً في مجلس قيادة الثورة الكردية. والذي حاول عبثاً الحصول على موافقة

الملا مصطفى برزاني لإنشاء وطن آشوري يجمع آشوريي العراق في منطقة من الأراضي الكردية." وهكذا نرى أن دعوة الأب بيداري للحكم الذاتي تعتبر من الدعوات المبكرة للمطالبة بالحقوق القومية التي حمل لواءها رواد النهضة القومية، ومالبت بعدها أحزاب ومؤسسات شعبنا في العراق أن تبنتها.

وفي عام ١٩٧٤ ترجل الفارس من صهوة جواده بعد ٨٧ عاماً، لم يُعرف خلالها إلا مقاتلاً شرساً في سبيل عقيدته، وفي سبيل أمته وشعبه وقضاياها، وفي سبيل أبناء رعيته، فدفن في كاتدرائية الشهيدة مسكننا بالموصل.

وقد عُرف الأب بيداري برباطة جأشه إلى جانب تمتعه بقوة بدنية، كما كان شديد الالتصاق بالطبيعة، فكان يجدها ملاذاً للاعتزال للمزيد من التأمل والتفكير، وقد إمتاز بالذكاء والذهن المتوقد، كما عرف بجرأته المنقطعة النظير الممزوجة بغيرة على أمته وكنيستها ولغتها وتراثها التي تجلت بكتاباتهِ وبأقوالهِ ومنها هذا النص المأخوذ من كتابه قنبلة الأب بيداري فيقول:

" ما هذه الحالة يا أمة السريان. ما بالكم خذلتكم لسانكم وملتم عن لغتكم بل رفعتم عقيرتكم. فما قولك في هذا يا تبوني العظيم، يا خليفة رحماني الملفان بطل تتويج أفرام الملفان إننا نشكر لسالفك جزيل فضله على الأرامية بتنصيبه أفرامنا أستاذاً دكتوراً على المشرق والمغرب ولكن ما نفع هذا وليس بين قوم المعلم من يابيه لتأليفه ويعبأ بلغته. وأنت يا عريضه القهار يامرّج السريان الأخير ويامن على جبله معقود جل مابقي من الآمال الأرامية فما رأيك. وأنت يابرصوم العلامة فما الفائدة من علمك وقد درست لغتك وقضي على لسان ابائك. وأنت ياعمانونيل الداهية ياشبل بابل وخلف من حضروا المشرق... "

كان الأب بولس مطلع على مختلف الثقافات، فكان يتقن إلى جانب السريانية التي إتسمت في كتاباته بالبيان والبلاغة اللغات العربية والفرنسية والكردية، كما

كان ملماً باللاتينية لغة الكنيسة الكاثوليكية التي يؤخذ عليه تعصبه الشديد لها،
والإنكليزية

وأما مؤلفاته فبصعوبة بالغة أستهديت إليها لقلتها ولضياح قسم كبير منها في
الفترة الأخيرة من حياته ولكثرة تنقلاته، بالإضافة للمضايقات الأمنية من
السلطات في ذلك العصر بحقه، وخصوصاً بسبب أرائه المتحررة والرائدة التي
تناقضت والتوجهات السائدة آنذاك، والذي باعتقادي كان سبب اضطراب وقلق
دائم في حياته، فكان رحمه الله لا يفارقه شينان مسبحة الصلاة، ومسدسه الذي
لازال محفوظاً إلى يومنا هذا في خزانة رعية يسوع الملك الكلدانية في الحسكة،
فكتاباته في السريانية هي : دليل الطلاب أي النحو الوجيز وقد طبع في سنة
١٩٢٣ في المطبعة الآثرية في الموصل حيث كان وقتئذ معلماً للغة السريانية في
المعهد الكهنوتي البطريركي. وله مجموعة قصائد تدور حول أجدادنا قبل
المسيحية وبعد المسيحية سميت بأيتها الأمة الحبيبة ٢٥٠٠ دسعه نضع عناوين
هذه القصائد للفائدة: ٢٥٠٠ دسعه دسعه دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛

٢٥٠٠ دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛

٢٥٠٠ دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛ ٢٥٠٠ دسعه ؛

بالإضافة إلى قصيدة عدد فيها مناقب مار أفرام الملقان وقد طبعت هذه القصائد
بمطبعة مار نرساي بتريشور في الهند سنة ١٩٥٧.

وأما مؤلفات بيداري المخطوطة فهي كثيرة على حدّ قول ألبير أبونا منها
قصيدة في (رئاسة الكلدان) وهي إنتقادات لاذعة لحال الكلدان نتيجة تقاعس
رؤسائهم. ديواناً شعرياً عن المجزرة الرهيبة التي طالت المسيحيين في جزيرة
أبن عمر سنة ١٩١٥ وقد أجاد في وصف تلك المجازر، وله ديوان إسمه طريق
القبر وهو وصف لزيارة الأماكن المقدسة في أورشليم وله كتاب في الجغرافية
العامة. ولكن تظل هذه الكتب غير معروفة إلا إذا أخرجت إلى النور.

وأما آثاره المطبوعة بلغة الضاد فهي: قنبلة الأب بيداري والتي تعتبر من أهم أعماله وأكثرها جراءة على الإطلاق وقد نشرها في بيروت سنة ١٩٣٦، وكذلك محاضرة قيمة عن المرأة وكيفية تحليها بالفضيلة نشرها في مدينة القامشلي سنة ١٩٥٦ تحت اسم (فضيلة فتاة)، وكذلك محاضرة أخرى عن العزوبية والزواج طبعت سنة ١٩٦٦ أيضاً في القامشلي، وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية دور القامشلي كوريثة وحاضنة لتراثنا وأدبائنا، فخلال وجود الأب بيداري فيها ترك أثراً بالغاً في نفوس شببيتها من كافة طوائف شعبنا الكلداني السرياني الآشوري، لذلك ليس غريباً أن قسماً من مؤسسي المنظمة الأثورية الديمقراطية (مطاكستا) عام ١٩٥٧ هم من الشباب الذين تأثروا به، وقد عالج الأب بيداري في هاتين المحاضرتين موضوعين مهمين للغاية كانا يطرحان نفسيهما بذلك الوقت، فعالجهم بموضوعية وصراحة تامة افنقدها كتاب عصره، وخصوصاً بمعالجة مواضيع إشكالية كهذه. كما إتسمت لغته بمزج جميل بين فصحي مشرقة تتسم ببلاغة إلى جانب بعض المصطلحات العامية القريبة من الناس. ولأب بيداري أعمال لازالت مخطوطة منها (مأساة الملوك) وهي مأساة تاريخية آشورية ذات ثلاثة فصول من القطع الكبير تقع في ٥٦ صفحة، كما وضع سيرة الربان هرمزد بطلب من الرهبان الكلدان، بالإضافة إلى العديد من القصاصات بخط يده تعالج عدد من المواضيع مثل بحث عن مار أفرام وسيرة مار بهنام الشهيد وبحث يقارن فيه بين لهجتي الأرامية (السريانية) الشرقية والغربية، وتفسير وشرح للطقوس البيعية وقد فُقد، ومن خلال هذا المقال أوجه رسالة لكل من يملك كتب غير مطبوعة سواء للأب بيداري أو لغيره من كتابنا المبادرة إلى كشف الغطاء عنها ووضعها في خدمة كل الباحثين والمهتمين لأنها ومهما كان موضوعها فهي هامة بالنسبة للباحثين والمختصين.

كان الأب بيداري ذا فكر وحدوي رائد فهو من المؤمنين بوحدة الشعب الكلداني السرياني الآشوري تحت اسم الأمة السريانية، وهذا النص الذي سأضعه يلخص فكره في هذا المجال، وهو مستل من الخطبة التأبينية في الحفل الذي أقيم في مدينة القامشلي للمثلث الرحمة البطريرك أفرام برصوم بطريرك السريان الأرثوذكس فيقول بيداري بهذا الصدد: " أمة السريان! وما أدراك ما أمة السريان؟ أمة السريان هذه المجموعة العظيمة بأقسامها الخمسة. أعني بأمة السريان هذه الأسرة المتشعبة بفروعها الخمسة. وأقصد بالسريان: الماروني والآشوري والسرياني الأرثوذكسي والسرياني الكاثوليكي والكلداني. لأننا جميعاً بأسمائنا المختلفة سريان على السواء وبدرجة واحدة منذ آلاف السنين ولانزال كذلك سرياناً دون أن يكون لواحدنا على الآخر ميزة أفضّل. وتباً لذلك اليوناني الذي أدخل الانشقاق على صفوف السريان ولعنة الله على ذلك اليوناني الذي شتت جموع السريان وجعل منهم شيعاً وطوائف تتباغض وتتناحر عن طيش أو مكابرة..."

وهكذا وبهذه العبارات نستطيع تلخيص فكر بيداري القومي الوحدوي، وأجمل ما فيها تركيزه على أن الاسم السرياني الذي يجمعنا ليس حكراً على فئة دون أخرى، فجميعنا من هذه الدوحة يعاقبة كنا أم نساطرة، كاثوليك كنا أم أرثوذكس، والأجمل من ذلك أنه هو الكلداني وفي ذلك الوقت الذي تميز فيه بني شعبنا بإقصاء الآخر يعتز بالتسمية السريانية وباقي التسميات الأخرى ذات المدلول الحضاري والثقافي والقومي عند أبناء شعبنا، ولكني أردد معه أحد أقوله في هذا الموضوع فأقول: لعنة الله على ذلك اليوناني الذي شتت جموع السريان وجعل منهم شيعاً وطوائف تتباغض وتتناحر عن طيش أو مكابرة، فأضيف عليها: سحقاَ لنا لأننا لانعرف كيف نتحد حول أسمائنا، ولا نعرف أن في الإتحاد قوة، وفي التفرقة ضعف، وما أكثر من يستمرئون الضعف الذي يتكرّس بالتفرقة،

المجلات:

١. الجامعة السريانية **ܘܨܬܘܬܐ ܘܨܬܘܬܐ** يصدرها النادي الأفرامي بيونس أيرس-الأرجنتين، ومؤسسها ومديرها فريد الياس نرها.
٢. المشرق البيروتية تصدر عن دار المشرق، مؤسسها الأب لويس شيخو اليسوعي .
٣. النشرة السريانية **ܘܨܬܘܬܐ ܘܨܬܘܬܐ** تصدر في حلب محررها منصور شيلازي.